للعمل الحزبي ، السياسي والعسكري ، بين المسيحيين . واذا كان الخطر الناصري قد « زال » في عام ١٩٧٠ (وهو الخطر الذي بحجة محاربته تم جمع ثلاث قوى يمينية « مسيحية » اساسية في جبهة واحدة ولوائح انتخابية واحدة اكتسحت الموقف في العديد من المناطق اللبنانية في الانتخابات النيابية سنة ١٩٦٨ ، هي : الكتائب والوطنيون الاحرار وحزب الكتلة الوطنية الذي يتزعمه العميد ريمون اده) فان الفترة التي اعقبت غياب الرئيس عبد الناصر شهدت تحولا في الدعاية الانعزالية في اتجاه التركيز على الفلسطينيين في الاغلبية الساحقة من الحالات ، مع تحركات ضد سوريا في حالات اخرى .

وانطلاقا من الحرب ضد الفلسطينيين وضد « اليسار المخرب » اراد حزب الكتائب والرئيس الاسبق كميل شمعون وحلفاؤهما ان « يوحدوا الشعب » ، على ان يكون التماسك المسيحي هو الاساس وهو النواة لهذا التوحيد . وعلى ان يكون الاكتفاء ، في المرحلة الاولى ، بالسيطرة على مناطق معينة من جانب الاحزاب « اللبنانية » ؛ وتكون المرحلة التالية هي العمل للسيطرة على لبنان كله ؛ وتكون اجهزة الدولة وجيشها ، والمساعدات الخارجية « الرسمية » الممكن الحصول عليها ، ادوات في مشروع تحرير كل لبنان .

وكانت الحرب .

وفي ١٢ كانون الاول ١٩٧٦ القى الشيخ بشير الجميل ، قائد « القوات اللبنانية » ، كلمة قال فيها : « انا لا ازال مقاتلا لان حقوقي لم تصلني بعد . ضميري يتأجج في الداخل على ما يحصل في الخارج وهو يتحول تدريجيا الى ضمير رافض » . ثم اضاف : « اذا كنا قد قبلنا بحكومة اللامحاربين ، فاننا لا نقبل بجيش اللامقاتلين . في الحقيقة لا نعرف ما اذا كنا عائدين من الحرب او ذاهبين اليها .. » (٢) .

هذا الكلام انما يعبر عن ثلاث حقائق مهمة :

الاولى : هي عدم قدرة القيادة الانعزالية على العودة الى « الهدوء » ، والانتقال من الصراع العسكري الى الصراع السياسي . فهذا من شأنه ان يبعد عنها « التماسك » والالتفاف الواسع نسبيا من جانب الاوساط المسيحية ولا سيما المارونية منها ، كما من شأنه ان يدفع الالوف من الشباب الى طرح الاسئلة المحرجة على قياداتهم . ومنها ، السؤال عما « اذا كنا عائدين من الحرب او ذاهبين اليها » على حد تعبير بشير الجميل نفسه ، والسؤال عما سيفعله هؤلاء الشباب الذين اعتادوا على الحرب والاقتتال الطائفي والذين يعتاشون من الاعمال والتحركات ذات العلاقة بالحرب الاهلية .

والحقيقة الثانية : هي ان القيادة الانعزالية لا تريد ان يكون للبنان جيش موحد الا اذا كان « جيش المحاربين » . وفي هذا دلالة كافية على « الوحدة » التي تريدها للبنان .

اما الحقيقة الثالثة فهي ان تيار المقاتلين ، اذا صح التعبير ، يخشى ان يصطدم بحل معين او تدابير ومعالجات سلمية، ولو مؤقتة توافق عليها القيادة السياسية لهؤلاء المقاتلين ، ويرون فيها مساومة على حساب حقوقهم ومبادئهم . وتوقيف الحرب دون التمكن من طرد الفلسطينيين و « سائر الغرباء » ودون التمكن من السيطرة السياسية والعسكرية على الوضع ،